17

العالم المحقق طاهر بن قاسم

فهو فرض عين وقال الشيخ الاسلام الانصاري الحنفي في جواهر الفقه واما علم القلب فهو علم ذوقي
ووجداني لا يمضغ تحت السنة الاقلام ولا تحيط به الدفاتر والاوهام وهو بمقابلة العلم الظاهر
بمنزلة الثمر للشجر والشرف للشيء لكن لا انتفاع الا بثمره انتهى وقال العلامة محمد افندي الرومي البركوي الحنفي
في الطريقة المحمدية واقبح العجب العجب بالرأي الخطاء فيفرح به ويصر عليه ولا يسمع نصح ناصح بل ينظر الى غيره
بعين الاستجهال قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وجميع اهل
البدع والضلال انما اصروا عليها لعجبهم بآرائهم وعلاج هذا العجب اعسر واصعب اذ صاحبه يظنه
علما لا جهلا ونعمة لا نقمة وصحة لا مرضا فلا يطلب العلاج ولا يصغي الى الاطباء وهم علماء اهل السنة و
الجماعة انتهى قلت والمراد بقوله وهم علماء اهل السنة والجماعة في معرض بيان اطباء القلوب علماء الآخرة
الذين اذا رأوا ذكر الله ولا يشقى جليسهم وهم الاولياء الجامعون للعلم الظاهر والباطن والشريعة
والحقيقة اكابر الشيوخ من اهل المعرفة والرسوخ والا فالعالم بالعلم الظاهر فقط وهو من اهل السنة
والجماعة لا يقدر في الاغلب على علاج قلبه فكيف لغيره وقد قيل طبيب يداوي الناس وهو عليل وهذا
امر وصل الى حد البداهة بالتجربة والمشاهدة قال خاتمة المتأخرين العلامة الشيخ حسن الشرنبلالي
الحنفي رحمه الله تعالى في شرحه الكبير على امداد الفتاح المسمى بنور الايضاح ومراقي الفلاح شرطت
الطهارة الشرعية ليصير العبد اهلا للعبودية والقيام بخدمة الربوبية ولا ينفعه ذلك حقيقة الا
باخلاص الطوية وتطهيرها عن الادناس المعنوية اذ هي اقرب النجاسة الحقيقية كالغل والغش والحقد و
البغض والحسد ويصلح قلبه ليصلح سائر الجسد فيطهر قلبه ويخليه عن سوى الله تعالى في الكونين كون الدنيا
وكون الآخرة بقطع العلائق عن جملة الخلائق وما تطمح اليه النفوس فلا يقصد الا الله تعالى يعبده
لاستحقاقه العبادة لذاته تعالى وامتثال امره ملاحظا جلاله وكبرياءه لا رغبة في جنة ولا رهبة من نار
بل لانه تعالى من حقه ان يعبد كما قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فيخلص الطاعة له ثم
يسأله حاجته الدنيوية اظهارا للفاقة والاضطرار الى المولى الغني عن كل شيء بعد تطهير لسانه من اللغو في الدينية و م
فضلا عن الكذب والغيبة والنميمة والبهتان وتزيينه بالتقديس والتهليل والتسبيح وتلاوة القرآن
لعله ان يتصف ببعض صفات العبودية اذ هي الوفاء بالعهود والحفظ للحدود والرضاء بالموجود
والصبر عن المفقود فتلو فرد الفرد ولا استرقك شيء من الدنيا ولا يملك شيء من الهوى قال
الحسن البصري رحمه الله تعالى ونفعنا ببركته رب مستور سبته شهوة وقد عرى من ستره وانتهكا
صاحب الشهوة عبد فاذا ملك الشهوة اضحى ملكا ونقل ابراهيم الحلبي في شرحه الكبير على المنية من
قصيدة الشيخ شرف الدين اسمعيل بن المقري في الوعظ تصلي بلا قلب صلوة بمثلها يكون الفتى
مستوجبا للعقوبة تظل وقد اتممتها غير عالم تزيد احتياطا ركعة بعد ركعة فويلك تدري
من تناجيه معرضا وبين يدي من تنحني غير مخبت تخاطبه اياك نعبد مقبلا على غيره فيها لغير ضرورة

ولورد

18

ولو رد من ناجاك للغير طرفه تميزت من غيظ عليه وغيرة اما تستحي من مالك الملك ان يرى صدودك
عنه يا قليل المروة قلت وقد جرت العادة وجربت بان التطهير من النجاسات المعنوية وادناس الطوية
والحضور والخشوع في الصلوة وسائر العبادات بمشاهدة ان تعبد الله كأنك تراه المعبر عنه بمقام الاحسان
لا يتيسر في الغالب للاكثر الا بالسلوك على شيخ عالم كامل خبير بعلاج هذه الامراض وحكمة معاملاتها علما
وذوقا وتجربة بل لو حفظ المبتلى بهذه العلل كتبا متعددة لا يستغني بها عن تربية مثل هذا الشيخ ليخرجه
من رعونات نفسه الامارة ودسائسها الخفية كانت هذه في كثير من المتفقهة المبتلين بها والتجربيات
والمشاهدات تلتحق باليقينيات القطعيات وقد قال الله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى
معاذيره فمن انكر هذه البديهيات فقد غش نفسه وقد قال الامام العارف المتضلع من علوم الشريعة
والحقيقة الشيخ عبد الوهاب الشعراني قدس سره النوراني في كتاب مشارق الانوار القدسية في العهود المحمدية الانوار م
وقد اجمع اهل الطريقة على وجوب اتخاذ الانسان له شيخا يرشده الى زوال تلك الصفات التي تمنعه من دخول
حضرة الله تعالى بقلبه ليصح صلوته من باب ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ولا شك ان علاج امراض الباطن
من حب الدنيا والكبر والعجب والرياء والحسد والحقد والغل والنفاق كله واجب كما تشهد له الاحاديث
الواردة في تحريم هذه الامور والتوعد بالعقاب عليها فليعلم ان كل من لم يتخذ له شيخا يرشده الى الخروج عن
هذه الصفات فهو عاص لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم لانه لا يهتدي لطريق العلاج بغير شيخ ولو حفظ
الف كتاب في العلم فهو كمن يحفظ كتابا في الطب ولا يعرف تنزيل الدواء على الداء فكل من سمعه وهو يدرس في الكتاب
يقول بانه طبيب عظيم ومن رآه حين يسأل عن اسم المرض وكيفية ازالته قال انه جاهل فاتخذ لك يا اخي شيخا و
اقبل نصحي واياك ان تقول طريقة الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة فانه كفر فانه كلها اخلاق محمدية سداها
ولحمتها وقال العارف المذكور في كتاب آخر له مسمى بالجواهر والدرر الصغرى وسئلت عن الدواء الذي اذا استعمله العبد
زال عنه الرياء والاعجاب باعماله فقلت دواؤه الاكثار من ذكر الله تعالى حتى يتجلى في قلبه التوحيد الحقيقي ويرى
اعماله خلقا لله وحده جملة واحدة ليس للعبد فيها غير النسبة فهناك لا يصير عنده رياء ولا اعجاب ولا تكبر على احد
من العصاة لان العبد لا يرائي قط بعمل غيره ولا يعجب فيه بنفسه ولا يحصل عنده دعوى فقيل فهل له دواء غير
التوحيد من الاعمال فقلت لا اعلم له دواء اسرع من التوحيد وهو الذي وضعه جميع اهل الطريقة للمريد فطووا
به الطريق وقد اخطأ ذلك طائفة العباد الذين اشتغلوا نفوسهم بتلاوة القرآن والصلوة والصيام
وماتوا على ريائهم ورؤية اعمالهم ولم يخلصوا في شيء منها كما يشهد لذلك حديث العابد الذي يقول له الحق
تعالى ادخل الجنة برحمتي فيقول يا رب بل بعملي وذلك لعدم فهمهم للقرآن فان الفهم يتوقف على جلاء القلب فحكم
الذكر كالحصى للنحاس المصدي وحكم غيره كالصابون فافهم انتهى وقال العارف المذكور في كتاب آخر له مسمى
بالاجوبة المرضية عن الفقهاء والصوفية وقد كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول قبل ان يجتمع بالشيخ ابي الحسن
الشاذلي رضي الله عنه وهل ثم طريق يقرب الى الله تعالى غير ما بايدينا من الفقه فلما اجتمع بالشيخ ابي الحسن الشاذلي اقر
بطريقة القوم بقوله ان هذه الامراض حدثت فينا لم تكن في اهل عصرهم ولو كانت فيهم لاستنبط المجتهدون

[illegible]